

المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري - أعلام وجهود لغوية flags and -The Algerian school antique Algerian linguistic efforts

د أحمد بناني -المركز الجامعي تمنراست

benani.ahmed@cu-tamaneasset.dz

تاريخ النشر: 2019/04/16	تاريخ القبول: 2019/02/25	تاريخ الإرسال: 2018/12/30
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

يحاول الباحث في هذا المقال البحث في جهود المدرسة الجزائرية العتيقة التي تناولت المباحث اللغوية والأدبية وكان لها أثر بالغ في نشر العلم والمعرفة بالجنوب الجزائري بل وتعدى تأثيرها إلى المناطق والدول المجاورة؛ لأن أعلام المدرسة الجزائرية العتيقة أعلام ألفوا الرحلة والترحال في سبيل طلب العلم ونشره والبحث عنه في بقاع الأرض فاعتنموا ترحالهم في صقل رؤاهم وأذهانهم بمختلف القضايا الفقهية واللغوية ونهلوا من مختلف العلوم وتعلموا على أكبر فقهاء عصرهم وكذلك اطلعوا على معظم إنتاجهم ومخطوطاتهم كما خلفوا لنا تراثا لا زال بعضه يدرس ولا زال يقاوم بعضه ليثبت وجوده في مخطوطات تنتظر من ينقب عن العلوم المكنونة فيها ، هذا المقال يحاول سبر جهود أعلام المدرسة الجزائرية العتيقة في الجنوب الجزائري وأهم مخطوطاتهم والجوانب اللغوية والأدبية التي ركزوا عليها في مؤلفاتهم ومخطوطاتهم وأثرهم في نشر العلم والمعرفة والاسهام في ترسيخ العلم في أجيال لا زالت تشهد بذلك ومؤلفات تثبت ذلك وآثار تدل على ذلك.

الكلمات المفتاحية : المدرسة الجزائرية، الجنوب الجزائري، أعلام، جهود لغوية

Abstract :

Researcher in this article tries to search the Algerian school efforts antique dealing with linguistic and literary detective and had a profound effect on the spread of science and knowledge in the South of Algeria, and even the encroachment of neighbouring regions and countries, because the Algerian school flags antique flags wrote journey And travelling to seek knowledge and dissemination, search around the vaatenmwa travels to refine their visions and their minds in various doctrinal, linguistic issues, schooled from different science and performed my biggest scholars of their time, and had seen most of their production, as fake Scriptures left us a legacy that is still some studying, nor Still battling some of it to prove his existence in the scrolls waiting to delve within science, this article attempts to explore the

Algerian school notification efforts in southern Algeria, most antique fake Scriptures, linguistic and literary aspects that focused in their compositions, and a fake Scriptures, and their impact on science published Knowledge and contribution to the establishment of science in generations still attest, and authors to prove it and demonstrate the effects that.

Keywords : The Algerian school, South of Algeria, flags, linguistic efforts



مقدمة

إن المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري كان لها دور كبير في ازدهار العلوم سأسلط الضوء على المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري سماتها خصائصها، وأساليب التعليم والتدريس بها، و دور أعلامها في صيانة اللغة العربية والنهوض بعلومها ، والوقوف على الجهود اللغوية لأهم أعلام هذه المدرسة ودورهم الرائد في إعادة بعث ألفية ابن مالك في حلة تيسيرية تستهدف تبسيطها وتسهيل تلقينها ، وكذلك نظم الآجرومية وعلوم الصرف ، وكذلك تفرد كل علم من أعلام المدرسة الجزائرية العتيقة بأسلوبه في تلقين تلك العلوم ، كما أن الحديث عن المدرسة الجزائرية العتيقة هو الحديث عن المخطوطات اللغوية والأدبية الكثيرة التي تضمها هذه المدرسة ، كما سيجيب مقالنا على تساؤلات كثيرة منها : ما المدرسة الجزائرية العتيقة ؟ من هم أهم أعلام المدرسة ؟ ما هي أهم القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية التي شددت اهتمام أعلام هذه المدرسة ؟ ما دور المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري في صيانة اللسان العربي؟ ما هي المخطوطات التي تحويها؟ وما أهم القضايا التي تناولتها وكيف يمكن بعثها ليستفيد منها طلاب العلم ؟ هذه أسئلة أخرى سأجيب عليها في مقال موسوم بـ "المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري _ أعلام وجهود لغوية "

1- المدرسة الجزائرية العتيقة وقفة مع المفهوم

الحديث عن المدرسة الجزائرية العتيقة هو الحديث عن تلك الجهود العلمية التي كانت تقوم بها الزوايا والكتاتيب والخلق العلمية بالمساجد في تلقين العلوم بأساليب تقليدية لها صيبتها من النجاعة كما لها نصيب من الإخفاق .

فإذا اعتبرنا ها من زوايا العلم فتحمل الزاوية معنى المسجد والمصلى وتطلق بمعنى أعم على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني ، وهي تشبه الدير أو المدرسة ، فنجد الزاوية جميع الأشياء الآتية ، أو أكثر منها : غرفة قصرت على تلاوة القرآن ، مكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن ، ثم غرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق الزاوية عادة مقابر أولئك الذين أوصو افي حياتهم بأن يدفون فيها (1)، فهي تشير إلى مكان مخصص لتعليم القرآن وعلوم الدين بعضها اقتصرت على تحفيظ القرآن وبعضها تجاوزت ذلك لتعنى بعابري السبيل والطلبة .

مفهوم المدرسة الجزائرية العتيقة يرتكز على مدرس ودارس وعلى نص مدروس أو منهاج متبع وعلى مكان وزمان وقع فيهما فعل الدرس وعلى ذلك فإن التمايز بين المدارس قد يقع في التباين بينها في بعض تلك المكونات أو أكثر ، فإذا رجعنا بهذا المفهوم إلى المدرسة الجزائرية العتيقة وجدنا أن ما يعطي لمنطقتنا هذه هويتها وتميزها ظاهري جانبها المكاني وجانبها البشري ، وهو أعلام هذه المدرسة من علماء وتلاميذ (2)، فيرتبط مفهوم المدرسة العتيقة بالأعلام الذين أفنوا أعمارهم في تعلم العلم وتعليمه ، ونشره فلا تكاد تخلو منطقة من مناطق جنوبنا الشاسع من مكان مخصص لتحفيظ القرآن وتعلم العلم، وهو ما ساهم بشكل كبير في نشر العلم والمعرفة ورسوخ ذلك في أجيال توارثته جيلا عن جيل .

المدرسة الجزائرية العتيقة يرتبط اسمها بتلك المدارس التي أقيمت لتعليم الناس أمر دينهم ، واستقبال الطلبة من خارج المدينة ، والتكفل بإيوائهم وإطعامهم ، وتعتمد في ذلك على الأملاك الموقوفة عليها والمعينة لذلك ، وتبرعات الخيرين من أفراد المجتمع ، ويطلق عليها اسم الزوايا العلمية . (3)، فهي مدرسة أقيمت على أوقاف للمحسنين وتبرعاتهم، وبفضل إحسانهم استمر عطاء الكثير من المدارس، وبفضل مرافقه ألك لعملها العلمي ظلت شاحخة عبر العصور حاملة رسالة العلم محتضنة طلبة العلم من مختلف المناطق بل من مختلف الدول .

كما أن مصطلح الجنوب الجزائري يطلق على الخط الذي يلي الأطلس الصحراوي فيكون بذلك شاملا ل بسكرة ، وبوسعادة والمسيلة ، والأغواط ، والبيض ، وعين ماضي ، كما يطلق على أرض الرمال ، وبذلك يكون شاملا ل واد سوف ، تقرت ، وورقلة ، وميزاب ، ومثليي ، وتوات ، وما وراءها ؛بشار ، وتندوف ، ورقان ، وعين صالح ، والمنيعه ، وتمنراست ، وجانت (4)، فهو جنوب كبير مليء بآثار علمي عريق خلفه علماء خطوا رحالهم بها وأقاموا بها دهرا، أو بعض ممن

مر بها وأقام بها إقامة علمية وجيزة تركت أثرا كبيرا، وبعضهم كثرت زياراته إذ كان عالما وتاجرا يسعى في تجارته وفي نشر العلم وإكرام أهله والنفقة على مدارس العلم وزواياه.

2- المنهج التعليمي ومقرراته في المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري :

تميزت المدرسة الجزائرية العتيقة بمنهج دراسي محكم به تكامل ومقسم إلى مراحل كل مرحلة تعتبر تنويعا لمرحلة تليها تعمق الفهم والعلم وترسخ التعاطي مع القضايا الفقهية واللغوية وغيرها، فقد كان يتم التركيز فيها على التكوين الفقهي وحفظ القرآن فبعد أن يمر المتعلم بمراكز تحفيظ القرآن الكريم ويأخذ ضالته من بعض المتون المخصصة للمبتدئين كالمرشد المعين والعقري ، والقرطبية ، وبعد أن يستنفد مراده ينتقل إلى المدارس الفقهية المعروفة بالمجالس ، ليأخذ فيها منهجا دراسيا في علوم شتى ، كالتوحيد والنحو والتفسير والحديث ، وينقسم التعليم فيها إلى مراحل ثلاث لكل منها مقرراتها الدراسية ومتونها . (5)، إنه منهج متدرج فحفظ القرآن بداية ثم التدرج شيئا فشيئا نحو متون العقائد الفقه ، ليعمق كل ذلك في المجالس في مراحل تضم مقررات محكمه ومنثقة بدقه. في مختلف العلوم وفنون المعرفة

كما أن طريقة التعليم في المدرسة الجزائرية العتيقة تتميز بالمازوجة بين الحفظ والفهم ، فيكلف الطالب بحفظ أجزاء من المتن يوميا ، ليعرضه على شيخه ن ليتولاها الشيخ بعد ذلك بالشرح والتعليق اعتمادا على تحصيله السابق في الموضوع . (6)، فهي مدرسة تعطي للفهم حظه ليكلف المتعلم بالحفظ ابتداء ليخلص إلى الفهم انتهاء، وذلك بأن يعرض ما حفظه ويشعر شيخه في شرحه والتعليق عليه بعلم يستدعيه من بديته يستقيه من مختلف العلوم ليقدم للمتعلم فهما متكاملما لما حفظه.

إن المدرسة الجزائرية العتيقة تتميز بمقرراتها التي ترتبط بمستويات ثلاثة ؛ ففي المستوى الأول تقرر على الطالب متونا ينشغل بتحصيل ما فيها وهي: منظومة الأوجلي وجوهرة اللقاني، والأخضري ومتن العقري لابن أب المزمري، ومتن المرشد المعين لابن عاشر ومتن القرطبي، ومتن العشماوي، ومتن الرقعي، أما في المستوى الثاني فيقرر على الطالب متن أسهل المسالك، ومتن رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ومتن الرجبية في الميراث ونظم مقدمة ابن رشد ، وفي المستوى العالي يقرر على الطالب متونا وهي مختصرة خليل ، لباب الفرائض ، متن تحفة الأحكام لابن عاصم ولامية الزقاق وغيرها . (7)، فهي مقررات متكاملة ، ويكفي أتمها في مستويات، فمن منظومة الأوجلي

والأخضري والعقري والعشماوي، في المستوى الأول إلى أسهل المسالك والرسالة في المستوى الثاني إلى أعمق مستوى وهفيه مختصر خليل عمدة المذهب المالكي، وتحفة الأحكام ، مستويات تأخذ ما تتطلبه من زمن لحفظها ثم الاستماع إلى شرحها والتمرس على قضاياها ، فهو المنهج الذي خرج علماء ولا زال.

ولما كانت الملكة الفقهية لا تحصل إلا بعد التمكن من علوم ضرورية لفهم ماتم تحصيله يضافف إلى تعلم الطالب في مرحلته الأولى جانباً من علوم رسم القرآن اعتماداً على بعض المتن ، وكذلك النحو يدرس الأجرومية ونظمها للريف العمطري، وملحة الاعراب للحري، وألفية ابن مالك ولامية الأفعال لابن مالك ، ومغني اللبيب ، وقطر الندى ، وكذلك التوحيد والمنطق يتعلم متن الأوجلي ومتن السنوسية الصغرى ، وجوهرة التوحيد ، ومتن السنوسية الكبرى ، والسلم المرونق للأخضري، وإضاءة الدجنة ، وفي الحديث يتعلمه رواية ودراية يلحق الموطأ بشرح الزرقاني ، وصحيح مسلم بشرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر أو بشرح القسطلاني، ومسلم بشرح النووي إضافة إلى التفسير بالتركيز على تفسير القرطبي وابن كثير والبيضاوي (8) ، فعلوم اللغة تحظى بنصيب كبير في المدرسة الجزائرية العتيقة ، والدليل على ذلك احتفائها بالأجرومية متناً ونثراً، وكذلك ملحّة الاعراب للحري، وألفية ابن مالك ولا مية الأفعال ، ومغني اللبيب ، وقطر الندى فمن أدرك هذه المقررات حفظاً وفهماً واستطاع وتمرس في قضاياها مع مشايخ أفذاذ ترسخ ملكته اللغوية ويجود كلامه ويسلس عليه فهم العلوم التي تلقاها والشروحات التي سمعها، إنها العناية باللغة وعلومها كونها مفتاح إدراك جميع العلوم التي تقدمها المدرسة الجزائرية العتيقة بل هي سر وعيها ومناط ادراكها وجوهر فهمها.

3-المدرسة الجزائرية العتيقة وفن اللغة ولأدب بإقليم توات :

كان لعلماء توات باع كبير في العناية باللغة والأدب وتأني اللغة والنحو في مقدمة اهتماماتهم العلمية دراسة وتأليف لكون اللغة العربية هي المفتاح لفهم القرآن و العلوم الدينية وأهم الكتب التي كانوا يدرسونها الخرجية في علم العروض ، الألفية و لامية الأفعال لابن مالك ، وملحة الإعراب ، للحري، أما ذكر التأليف والإبداع ، فلا بد من ذكر الشيخ محمد بن أب المزمري (ت 1160هـ _1747م) صاحب الإبداعات الكثيرة في هذا المجال ، منها قصيدة في البحور الشعرية وحروف الهجاء ، وأرجوزة في علم الكلام، وشرح روضة النسر في مسائل التمرين لابن

الحاجب ، شرح لامية بن الجراد ، ولعل أصدق مثال عن صفاء قريحته وإبداعه الشعري قصيدة تقرأ من الجهتين مع شرحها ، كما أنشأ بحرا جديدا سماه (المضطرب) ، ووضع قصيدة من 89 بيتا على هذا البحر ، وله أيضا قصيدة في الجنس الناقص ، تحتتم أبياتها جميعا بكلمة (النوى) مع اختلاف معانيها (9)، فقد برع علما المدرسة الجزائرية العتيقة في مختلف فنون اللغة والأدب لكونها مفتاح فهم بقية العلوم ، فهاهو ابن اب يبدع في الشعر أراجيز ويضيف بحرا أسماء المضطرب، إنهم مشايخ امتلكوا ناصية اللغة وورثوها لتلامذتهم، فأسهلوا بذلك في صيانه اللغة وعلومها وتبسيط متونها وشرح غامضها وتسهيل اكتساب سمتها.

كما برع من الشعراء الشاعر ابن الونان (ت 1187هـ _ 1775) الذي ترك قصيدة تعد من أروع ما قيل في الشعر بعنوان الشمقمقية من (275) بيتا في أغراض مختلفة ، وخير دليل على ذلك عدد شروحها التي فاقت الستة إحداها للناصرى السلاوي، مؤلف كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، وآخر لعبد الله كانون الحسني ، وقد تحدي فيها الشاعر الشعراء في المغرب والمشرق ، كما برز في الإقليم الشاعر محمد الإدواعلي (ت قبل 1198هـ _ 1784)، صاحب القصائد الكثيرة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأديب الشاعر محمد بن لمبروك البداوي (ت 1189هـ _ 1784م) له ديوان شعري ضخم يضم قصيدة مزج فيها بين بحرین مختلفين (10)، فبرع علماء المدرسة الجزائرية العتيقة في الشعر والأدب وخير مثال صاحب الشمقمقية وهو ابن الونان الذي أبدع قصيدة متعددة الأغراض فارعة الأركان جميلة السبك حسنة النسخ جميلة في تركيبها عذبة في إيقاعها ، سلسلة عند سماعها تطرب الأذان لإيقاع تفعيلاتها وترانيم عباراتها.

4- أشهر المكتبات والخزائن العلمية بإقليم توات وأشهر المخطوطات اللغوية التي تحويها

4-1. خزنة السيد أحمد بن مبارك أبجتي(11)

إنها من أهم الخزائن تضم العديد من المخطوطات الفقهية واللغوية ، ففي ثنايا المخطوطات الفقهية حديث كبير عن الأبواب اللغوية والنحوية التي تسهم في شرحها وتبسيط معانيها ، فلا يكاد يخلو مبحث من مباحثها من إشارات لغوية وبلاغية ونحوية مستفيضة تستهدف إيضاح مفهوم أو شرح عبارة أو تفسير مبهم و أشهر مخطوطاتها التي توشحت بالأبواب اللغوية والنحوية نجد :

° تفسير القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن محمد الصديق محمد بن محمد الأمين الهاملي
بخط جميل من إنجاز أحمد بن الحاج بن الملياني .

4-2. خزانة الشيخ أبي نعام (12)

تعتبر من أفضل الخزائن حيث تضم ما يزيد عن (200) مخطوط في شتى الفنون بها مباحث لغوية وأخرى أدبية مبثوثة في مخطوطات فقهية وأخرى لغوية وأدبية خالصة أشهرها :

° ضياء التأويل في تفسير القرآن لعثمان دان فودير .

° إعراب القرآن ومعه شرح الورقات لإمام الحرمين لعبد الرحمن بن عمر التنلاي .

° ديوان أبي الطيب المتنبي .

° شرح معلقة زهير ابن أبي سلمى .

3. خزانة الشيخ محمد باي : (13)

خزانه مهمة تضم عديد الكتب وهي أفضل المكتبات صيانة وتنظيما معظمها فقهية ضمت مباحث لغوية ضرورية لشرح بعضها أشهر مخطوطاتها والتي تحمر وقفات لغوية ونحوية وبلاغية :

° شرح الأربعين حديثا النووية للشبرختي .

4. خزانة المنصور بأقبلي (14)

تضم هذه الخزانة ما يزيد عن (20) مخطوطا في فنون مختلفة وأشهر مخطوط عني بالأبواب اللغوية والنحوية :

° المقصور والممدود للشيخ المختار الكبير

6- أشهر أعلام المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري وأهم مخطوطاتهم اللغوية

هناك أعلام كثر برعوا في المدرسة الجزائرية العتيقة وكان إسهامهم كبيرا في مجال اللغة والأدب والنحو والبلاغة ناهيك عن علوم الفقه والتوحيد من بينهم

6-1. محمد بن أب

هو السيد محمد بن أب من حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمرى ولد بقرية أولاد الحاج بأولف سنة 1094هـ أخذ مبادئ العلم والقرآن في مسقط رأسه لينتقل إلى زاوية كنتة ليكمل تعليمه على يدي علمائها أمثال محمد الصالح بن المقداد والشيخ سيدي يوسف أحنصال . (15)

برع في علوم العربية وفنونها وتمكن من علم العروض إلى الحد الذي أضاف فيه بحرا جديدا في الشعر خارج بحور الخليل أسماه البحر المضطرب تفعيلاته :
 فاعلن فعولن فاعلاتن فاعلن فعولن فاعلاتن .
 ونظم فيه قصيدة في مدرج المصطفى صلى الله عليه وسلم من 89 بيتا مطالعا :
 صل يا إلهي ثم سلم دائما على خير الأنام
 ما دعاك أولباكم محرم قاصدا إلى البيت الحرام
 ولشدة براعته في علم العروض وصناعة الشعر قال متحدثا عن نفسه : (16)
 إذا ساد بالإقدام عمرو وبالدكا تفرد إياس وبالجود حاتم
 فإن شعاري صنعة الشعر فالذي ينازعني فيها فذاك ظالم
 وقال أيضا :

وفزت بدر الشعر إذ غصت بحره ومثلي لنيل الدر من بحره أهل
 فحاز نظامي فيه أبدع صنعتي من الله لا من غيره ذلك الفضل
 وأمرني سلم لاتصال ومن يرم تصالي فإن الخطب في شأنه سهل
 ومن دلائل براعته وتفرد قصيدته في الجنس الناقص تختم كلها بكلمة النوا ، وهي تشير إلى
 كلمات مشتركة في هذا الجزء مختلفة في باقي الحروف ، وكلها على وزن مفاعل ، والقصيدة في
 النصح والإرشاد ومطلعها : (17)

ياويح مبتاع الضلالة بالهدى فلسوف يندم حين يؤخذ بالنوا
 ماهمه إلا لقاء كواعب عرب تميمس كأنها القضب النوا

1.6أ- مخطوطات ابن أب اللغوية

ساهم ابن أب في الكثير من الفنون فترك وراءه الكثير من المخطوطات في شتى المجالات وأشهر
 هذه المخطوطات اللغوية والأدبية : (18)

- ° نظم مقدمة اب أجروم في النحو سماه نزهة الحلوم
- ° أرجوزة الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل في العروض
- ° أرجوزة في معاني حروف الجر
- ° روضة النسرين في مسائل التمرين في الصرف

° نظم آخر لمقدمة ابن أجروم في النحو سماه كشف الغموم

° شرح لامية ابن المجراد في إعراب الجمل

° شرح تحفة ابن الولرد في النحو

6-1-ب- وفاة أب وأقوال العلماء في براعته :

توفي رحمه الله يوم الاثنين 10 جمادى الثانية من سنة 1160 هـ بمدينة تميمون أين دفن هناك إلا أن صاحب فتح الشكوى نقل عن أحمد بن محمد بن موسى بن إجل وهو يشير إلى رسوخ قدم ابن أب في علوم العربية جعل من تاريخ وفاة الشريف بن الفاضل مرجعا لتاريخ وفاة محمد بن الحسن الزبيدي والفقهاء النحوي الصربي محمد بن أب علما أن أفاضل توفي سنة 1159 هـ فيقول : (19)

وقبل بعام كان من نجل جدنا محمد الأسني الكريم المبجل

ومن نجل أب قد توارت مسائل من النحو والتصريف برهانه جلي

وعلى هذا الأساس يكون قد توفي سنة 1158 هـ.

قال محمد بن بادي في ابن أب "كان رحمه الله أديبا لغويا تصنيفيا ،عروضيا ،رائق الخط ،وشاعرا مجيدا مفلحا" (20)، فقد برع في علوم اللغة العربية فهو الأديب والفقهاء والعروضي ، وهو الشاعر المبدع، فقد أبدع في صنوف فنون اللغة ، وتجلّى ذلك في مؤلفاته وجمال عباراته وسحر كلماته وانتقاء تراكيبه، وهو ما جعل أحد تلامذته وهو عبد الرحمان التلاني يمدح نظمه لمقدمة ابن أجروم : (21)

إذا رمت نظما يزري بالدرد في سلك فلازم ذرى الشيخ ابن اب أخ النسك

بدا فيه فردا بين أعلام عصره يصوغ قريضا محكم النظم والسبك

وفي نزهة من المحاسن ما ترى يقر بما المصغي إليها ومن يحكي

فقد حوت مع إيجازها لب أصلها أدام بها نفعاً إلهي ومالكي

وأول الذي أبدعها خير إلية فقد سهل الصعب الذي كنا نشتكى

يواصل تلميذه وصف أخلاقه وسعة علمه حديث يقول : "كان رحمه الله ورعا في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة ، ويحيل على غيره ، ولو كان أدنى منه ؛ لأنه غلب عليه علم الأدب وأكثر نظره وإقراءه فيه ، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتابا بتوات إلا وتجد خطه فيه ، كان متفننا في الضبط

لا يتساهل فيه(22)، فهو الشيخ الورع، الأديب الأملعي المبدع المتمرس في الضبط والمتعطش للمطالعة المتشبع بعلوم الأدب والمتذوق لجواهرها.

6-2- الشيخ عمر بن عبد القادر التتلاي التواتي (عمر الأكبر)

ولد سنة (1098هـ_1686م) بقصر تنلان الواقع شمال شرق مدينة أدرار كما نشأ في زاوية جده لأبيه أحمد بن يوسف مؤسس هذا القصر وزاويته المتخرج من مدرسة البكرين حفظ بها القرآن وأخذ مبادئ العلوم ، ومما يقوله عن نفسه فقد كنت في حال صغري شغوفاً بالعلم مولعاً بطلبه ، مشغلاً بقراءة الشيخ خليل وألفية ابن مالك مقبلاً على ذلك متشوقاً إلى شيخ يحل لي ألفاظها ويوقفني على معانيها كما قال (23) ، فهو طالب علم استحكمت فيه روح طلبه منذ الصغر فاشتغل بخليل وألفية مالك، فقد كان شغوفاً بمهما وبالعلم باحثاً عن شيخ ييسر له ما استغلق من مفاهيمهما، وما غمض من مختلف العلوم التي يحصلها.

ذكر تلميذه إجمالاً أنه أخذ عن الأستاذ سيدي محمد السالم التواتي ثم التيمماوي ثم البربايعي، وأخذ التفسير عن شيخ الشيوخ سيدي محمد بن أحمد المسناوي، وعن افمام الحافظ الجامع لمذهب مالك، أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعداني، وأجازه الثاني إجازة عامة (24)، فدرج على تعلم العلوم والارتحال من أجلها فأجيز في مختلفها، وأخذ جلها عن مشايخ شهد لم بالعلم والافتقار في الفتوى، فأخذ التفسير وأجيز عليه من كبار العلماء كالمسناوي والمعداني ، وهذه هي سمة علماء المدرسة الجزائرية العتيقة يجالسون العلماء ويتنقلون سعياً وراء العلم وطلباً للفقه وعلوم اللغة.

أخذ علم الكلام عن محمد بن عبد الله السجلماسي، وعن الشيخ أحمد بن المبارك السجلماسي، ثم اللمطي ، وعن العلامة أبي محمد بن زكي الفاسي ، وأخذ الحديث عن المسناوي ، وعن أبي الحسن الحريشي ، وعن محمد بن عبد السلام بناني ، وعن أبي عبد الله السجلماسي ، وأخذ أصول الفقه عن ابن المبارك ، وعن الفقيه محمد بن محمد ميارة حفيد ميارة شارح العاصمية ، والرقاقية ، وعن المسناوي ، وأخذ الفقه عن المسناوي والمعداني ، وهما معتمده وأشياخه إذ أعظم محصله منهما ، وعن ابن زكري وابن مبارك وعن العلامة المحقق العربي بن أحمد بردلة ، وعن الفقيه محمد المشاط وغيرهم (25)، فقد برع التتلاي في علم الكلام وأصول الفقه، والفقه، فكان بحق عالماً أحنى ركبته طلباً للعلم أمام أفضل مشايخ عصره.

كما أخذ النحو عن محمد العربي بن محمد بن محمد بن مقلب وعن أحمد السقاط ، وعن مهدي بن عبد السلام الحلو الفاسي ، وعن ابن عبد الله وعن إدريس المشاط وعن بناني ، وعن عبد السلام الهروشي وعن ابن زكري وعن محمد بن حمدون بناني ، (26) فقد برع في النحو وأخذ بحظ وافر منه عن طريق علماء أفاضل ، فكان بذلك متعدد مشارب العلم مختلف المناهل أصيل المأخذ راسخ المنبع.

لم تعرف للتلافي مؤلفات ، فلم يكن له من تأليف سوى فهرسه ذكر فيها شيوخه وما أخذ عنهم وله تقييدات على مواضيع من المختصر وأبحاث في بعض كتبه تدل على غزارة علمه وثقوب ذهنه (27)، وفي هذا الفهرس نكتشف هذا العالم فمشايخه كثر والعلوم التي حصلها متعددة، وتقييداته دليل دقيق على تفرسه، وتحكمه في معظم تلك العلوم التي حصلها بل تناوله لقضاياه يعبر عن حسه العلمي البديع، وتناوله الحكيم وذهنه الثاقب.

3-6 الشيخ باي بلعالم :

هو السيد محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم المشهور بالشيخ باي ولد سنة (1930) بحي ساهل من أقبلي من بين خمسة ذكور لوالده الذي كان فقيها وعالما كبيرا تعلم على يد الشيخ محمد عبد الرحمن بن مكّي بلعالم ، ومبادئ الفقه واللغة على يدي والده ، الذي أخذه فيما بعد إلى مدرسة العلامة مولاي أحمد الطاهري الإدريسي بمدينة سالي ، والتي كانت آنذاك منارة تقصد للعلم والتكوين ، وبطلب من أهالي مدينة أولف انتقل إليها بعد إجازته من قبل شيخه مولاي أحمد، فتولى التدريس بحي الركينة أين وضع النواة الأولى لمدرسته الشرعية المعروفة حاليا بمدرسة مصعب بن عمير ، وتستقطب هذه المدرسة أعدادا كبيرة من الطلبة الوافدين ، من مختلف أنحاء القطر الجزائري ، وتخرج منها رجال كثيرون يتولون حاليا الإمامة والتدريس في مختلف مساجد الجزائر (28)، عالم استقطب علمه الكثير من الطلبة من مختلف البقاع فقد كان لع باع كبير في الفقه والعلم ، فهو عالم راسخ تلقى العلم على يدي الشيخ عبد الرحمن بن مكّي، كما علمه والده اللغة والفقه، كما نخل من علم مولاي أحمد الطاهري، فكان منارة العلم بأولف وتخرج على يديه الكثير من المشايخ جابوا العالم بعلمهم وأبدعوا في عطائهم ولا زال بعضهم صدقه جارية لهذا العالم الفذ.

3-6أ. مخطوطات ومؤلفات الشيخ باي بلعالم التي تضمنت مباحث لغوية

يعتبر باي بلعالم من المكثرين من التأليف في مختلف المجالات ومن أهم مؤلفاته التي لا تخلو من مباحث لغوية ونحوية وبلاغية: (29)

- ° زاد السالك شرح أسهل المسالك
- ° أنواع الطريق لمن يريد حج بيت الله العتيق
- ° الدرة السنية في علم موارث البرية
- ° ضياء المعالم شرح ألفية غريب القرآن لابن العالم
- ° ركائز الأصول
- ° كشف الدثار عن تحفة الآثار
- ° اللؤلؤ المنظوم عن نظم نزهة الحلوم
- ° قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة ، والمآثر
- ° الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزبة
- ° الاشراف البدرى شرح الكوكب الزهري
- ° الرحيق المختوم على شرح نزهة الحلوم
- ° ميسر الحصول على سفينة الأصول في علم الأصول
- ° مركب الخائض على النيل الفائض في الموارث
- ° فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك
- ° فتح الحبيب في سيرة النبي الحبيب
- ° مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل
- ° الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلافي
- ° الرحلة العلية إلى منطقة توات
- ° وأهم وأشهر مخطوطاته اللغوية منحة الأتراب على ملحمة الإعراب

4-6. الشيخ محمد بن بادي الكنتي

هو من علماء المدرسة الجزائرية العتيقة ولد خارج حدود الجنوب الجزائري وكان له أثر كبير في منطقة السودان الغربي والجنوب الجزائري على سواء ولا تزال كتبه تشغل كثيرا من خزائن المخطوطات ، فقد صحب خاله العلامة الجزائري الكبير الشيخ باي بن عمر الكنتي الذي أرسله

سفيرا إلى عدة أماكن من بلاد الصحراء فرحل إلى بلاد شنقيط ، ورحل إلى ناحية الأهقار ورحل إلى نيجيريا ، وله رحلة إلى كتنة المغرب ، وقد عرف عنه أنه كان مصلحا واسع المعرفة قائما بالحق لا يعمل إلا بمشهور المذهب (30)، إنه سفير العلم بصحراء الساحل وكتبه تمثل مصدرا لمشايخ السودان الغربي والجنوب الجزائري بل وجموع دول الساحل الافريقي، أبدع في علمه وبرع في تلقيه، كل ذلك بفضل مجالسته لخاله الشيخ باي بن عمر الكنتي فنهل من علمه وصحبه في رحلاته العلمية فشرب متعطشا للعلم سالكا نَحج خاله.

6-4. مخطوطات الشيخ محمد بن بادي الكنتي التي ضمت مباحث لغوية :

الشيخ بادي من ذوي الحظ الوافر في علم التأليف لسعة مداركه ، وتنوع علومه، فقد نهل من معظم العلوم ، وبرع في معظمها، وأبدع فيها وألف عديد المخطوطات في قضاياها ، فقد ألف في العقيدة والفقه ، وأصول النحو والبلاغة والتاريخ والطب ، والتشريح ، والتصوف ، وغيرها وله اليد الطولى في نظم منشور فوائد العلوم فمن العلوم مؤلفاته الفقهية التي ضمت مباحث لغوية : (31)

° نظم فتح البصرة على قواعد الدين الخمسة المنيرة ، هو نظم لكتاب منشور ألفه شيخه باي بن عمر الكنتي .

° مريح البال في حكم ما أتى في الانتعال _ منظومة .

° بغية الشريف في علم الفرائض المنيف _ منظومة .

° مراتع الخريف على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف وهو شرحه على النظم المذكور سالفًا .

° بديع الشكل في أحكام اللباس والشراب والأكل _ منظومة

° الروضة الأنيقة في حكم الأضحية والعقيقة .

° هدية الباري الجواد في حكم آبار بلاد أزواد _ منظومة

° سلم الانتقاء إلى أحكام الرقي _ منظومة

° نظم لمهمات خليل

° نظم العزبة للجماعة الأزهرية الأولى لأبي الحسن على بن محمد المنوفي

° مصطلح الدارين في مرغوب حبيب الله بن الزين كتاب آخر في أحكام الرقية

° نوازل جمعها لحاله العلامة باي بن عمر الكنتي .

خاتمة

إن المدرسة الجزائرية العتيقة بالجنوب الجزائري مدرسة مميزة بمنهجها التعليمي ذاخرة بمخطوطات عريقة وعلماء أفذاذ جهابذة ، تمثل تجربة تراثية ينبغي الاستلهاً منها والعودة إلى مصنفات علمائها للوقوف على طرق تعليمهم وآليات تلقينهم للعلوم ، وغزارة تأليفهم ، وبعث مخطوطاتهم الغنية بالمباحث اللغوية والتبسيطات النحوية ، والقضايا الأدبية ، كما أنها مدرسة تمتلك مقومات الانبعاث ومقومات عودتها إلى مكانتها العريقة في غرس حب العلم والعلماء وإعادة كتابة التاريخ وفق ما خلفه علماؤها ، من جهود لازالت تحتاج إلى من يزيل التراب الذي أهيل عليها ، ويبعد الغبار الذي جعل مخطوطاتها تتآكل مع أنها تحمل جواهر العلوم ولب الفنون .

الهوامش :

1. دائرة المعارف الاسلامية ، العدد التاسع ، المجلد العاشر ، ص 331_332
- 2- عز الدين كشنيط ، الحاضرة العلمية للجنوب الجزائري ، الصائل لنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ط 2003 ، ص 1، 1514
- 3- قدي عبد المجيد ، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة . دراسة تاريخية ثقافية واجتماعية ، ص 304
- 4 - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3، ص 214213
- 5 - عز الدين كشنيط الحاضرة العلمية للجنوب الجزائري ، 34
- 6 - نفسه ، ص 34
- 7 - نفسه ، ص 35
- 8 - نفسه ، ص 36
- 9- مبارك جعفري الحياة العلمية في إقليم توات وإنعكاساتها جنوب الصحراء ، ورسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2007، 2008، ص 142
- 10- نفسه ، ص 142.143
- 11 قدي عبد المجيد ، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة ، ص 195
- 12- نفسه ص 197.198
- 13- نفسه ص 197.200

- 14 نفسه ص 200
- 15 نفسه ، ص 7069
- 16- نفسه ، ص 70
- 17- نفسه، ص 71.70
- 18- نفسه ، ص 70،71
- 19-عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق ، البرتليالو ،فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور،بيروت ،دار الغرب الاسلامي ،ص123.124
- 20-قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ أولف العريقة ، 75
- 21- نفسه ، ص 75
- 22-نفسه ،ص 75
23. عبد الرحمن التلاني ، الفهرسة ، تحقيق عبد الحم نبا عثمان ، مذكرة ماجستير ، تاريخ عام ، جامعة بشار ، 1429هـ/2008،ص9882
- 24 نفسه ، ص 83
- 25- نفسه ، ص 83 84
- 26- نفسه ، ص 86.83
- 27-نفسه، ص 90
- 28-عبد المجيد قدي ، صفحات من تاريخ أولف العريق ، ص104
- 29-نفسه
- 30-عز الدين كشنيط ، الحاضرة العلمية للجنوب الجزائري ، ص3130
- 31- نفسه ، ص 3231
- المصادر والمراجع :**
1. دائرة المعارف الاسلامية ، العدد التاسع ، المجلد العاشر .
2. عز الدين كشنيط ، الحاضرة العلمية للجنوب الجزائري ، الصائل للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ط1. 2013
3. قدي عبد المجيد ، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة _دراسة تاريخية ، ثقافة واجتماعية . د . ط . د. ت .
4. سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3.
5. مبارك جعفري ، الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر . 2008/2007

6. عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق ، البرتلي الولائي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي
7. عبد الرحمن التلاني ، الفهرسة ، تحقيق عبد الحم نبا عثمان ، مذكرة ما جستير ، تاريخ عام ، جامعة بشار ، 1429هـ / 2008.